

الباب الأول

مكة .. أظهر بقاء الأرض

مكة مدينة كرمها الله فهي تحتضن بيته
الحرام ، وزاد شرفها عندما شاءت حكمته
أن تكون الأرض التي ولد بها خاتم الأنبياء
والمرسلين محمد ﷺ وشهدت أول نزول
الوحي يوم جاء الأمين جبريل غار حراء
يحمل كلام الله إلى رسوله ليكون للعالمين
بشيراً ونذيراً وقد جعل سبحانه وتعالى بيته
العتيق قبلة لعبادة المسلمين يستقبلونه في
صلواتهم ودعائهم إلى أن يرث الله الأرض
ومن عليها.

obeikandi.com

الفصل الأول

أسماء مكة

ولأن مكة هي البلد التي شرفت بوجود الكعبة المشرفة بها ،
وجكّلت حرماً أمنياً . فقد تعددت أسماءها وذكرها الله ﷻ
باسماء عديدة نذكر منها :
(مكة ، بكة ، البلد الأمن ، البلد الأمين ، أم القرى ، أم رهم ، مصبط الوحي
البلدة ، البلد ، النعاسة ، الناصة ، البشاشة ، كويصا ، الحاطمة ،
ماكورابا) .

وأشار ﷻ إليها في مواضع عديدة في كتابه الكريم بأسماء أخرى
وأقسم بها جل شأنه فحظيت بما لم تحظ به بلد غيرها ..
وذكر ابن كثير أسماء وقال : وقد ذكروا مكة أسماء كثيرة :
(مكة ، بكة ، والبينة العتيق ، والبيت الحرام ، والبلد الأمين ،
والمأمون وأم رحم ، وأم القرى ، وصلام ، والمرش على وزن بدر ، والفارص
لأنها تطهر من الذنوب ، والمتدصة ، والناصة بالنون وبالياء أيضا الياصة
، والحاطمة ، والرأس وكوثا ، والبلدة ، والبنية ، والكمبة)^١

١ - ابن كثير ج ١ ص ٣٨٤

مكة :

تقع مكة المكرمة عند تقاطع درجتى عرض ٢٥/٢١ شمالا والطول ٤٩/٣٩ شمالا ، ويعتبر هذا الموقع من أصعب التكوينات الجيولوجية فأغلب صخورها جرانيتية شديدة الصلابة ، وهى ترتفع عن سطح البحر إلى أكثر من ثلاثمائة متر .

ويحتضن مكة وادى إبراهيم الذى ينحصر بين السلسلة جبال متقاربة من جهات الشرق والغرب والجنوب حيث تتألق السلسلة الشمالية من جبل "الفلق" وجبل "كدى" وجبل "أبى قبيس" فى الجنوب الشرقى ثم جبل "خندمة" .

ولمكة المكرمة ثلاثة مداخل رئيسية هى "المعلاة" وتعرف باسم "الحجون" و "المسقلة" و " الشبيكة " .

وقد تعارف الناس على أن " المعلاة " هى كل ما ارتفع من مستوى أرض المسجد الحرام ، " والمسقلة " هى كل ما كان دونه .

حرمها .

حرم الله ﷻ مكة دون سائر البلاد لما لها من مكانة عظيمة وقدااسة جليلة جاء فى الصحيحين عن أبى شريح المعدوى أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه :

" انذن لى ايها الأمير أن أحدثك قولاً قال به النبى ﷺ عند فتح مكة سمعته أذنأى ووعاه قلبى وأبصرته عينأى حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يقطع بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها . أى أخذ فيه بالرخصة فقولوا

له : " إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم وإنما أذن لي في ساعة من نهار
وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس " ١

سبع تسميتها بهذا الاسم:

اختلف الإخباريون في كلمة مكة وذهبوا في ذلك مذاهب شتى وفيما
يلي نعرض مصدر اشتقاق كلمة مكة في الروايات المختلفة :
اشتهرت مكة البلد الحرام موطن القبلة ومولد رسول الله ﷺ بهذا الاسم
وفي التنزيل :

" وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن

الفتح / ٢١

أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا " ^١
ومكة كما في القاموس من مكة أو امتكة وتمكة وتمكة نصه
جميعه .. ومنه مكة للبلد الحرام أو للحرام كله لأنها تنقص الذنوب أو
تفنيها أو تهلك من ظلم فيها ..

وقال أبو بكر الأنباري : سميت مكة لأنها تمك الجبارين ، أي تذهب
نخوتهم . ٢

ويقال : إنما سميت مكة لارحام الناس بها من قولهم " قد امتك
الفصيل ضرع أمه إذا مصه مصا شديدا " ويرد ياقوت على هذا
التفسير بقوله " فقلط في التأويل لا يشبه مص الفصيل الناقة
بازدحام الناس وإنما هما قولان " ٣

قال الشرفي بين القطامي : إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية
كانت تقول لا يتم حجنا حتى تأتي مكان الكعبة فتمك فيه ، أي نصفر
صفير المكاء حول الكعبة وكانوا يصرخون ويصفرون ويصفقون

١- متفق عليه .

٢- ياقوت معجم البلدان ، مادة مكة مجلد (٥)

٣- نفس المصدر في ١٨١ ، ١٨٢

بأيديهم إذا كانوا بها . والمكء بتشديد الكاف طائر يأوى الرياض .
ويطلق ياقوت على هذا الرأي بقوله " والمكء ، بتخفيف الكاف والمد
الصغير ، فكانهم كانوا يحاكون صوت المكء ولو كان الصغير هو
الفرض لم يكن مخففا " ١ .

وقال قوم : سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عندها وهي في
هبطه بمنزل المكوك " ٢ ، والمكوك عربى أو معرب قد تكلمت به
العرب وجاء فى أشعار الفصحاء ..

قال الأعشى :

والمكاي والصحائف من الفـ * ضة والضامرات تحت الرجال
ويذهب أهل اللغة إلى أنها سميت مكة لقولهم : " سميت مكة لأنها
عبدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم : أمتك
الفصل أخلاف الناقة إذا جذب ما فيها جذبا شديدا فلم يبقى فيها شيئا " ٣
ولما كانت مكة مكاتا للعبادة فقد امتكت الناس أى جذبتهم من جميع
الأطراف .

ويرى ياقوت أنها سميت مكة من :

● مك اللذى ، أى مصه لقلعة مانها لأنهم كانوا يمتلكون الماء أى يستخرجونه
● وقيل : أنها تمك الذنوب أى تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا
يبقى فيه شيئا .

● وقيل : سميت مكة لأنها تمك من الظلم أى تنقصه .

● وقيل سميت بذلك لقلعة مانها . أو لأنها تمك المخ من العظم ما يقال قاصدها
من المشقة ، من قولهم مككت العظم إذا أخرجت ما فيه ، ومك الفصيل
ضرع أمه إذا امتص كل ما فيه من اللبن وشربه أو لأنها تمك من ظلم

١- نفر المصدر السابق

٢- نفر المصدر السابق

٣- ياقوت : معجم البلدان مكة محلد ١٨٢/٥

فيها . أى تهلكه وتنقصه ، أو لأن الناس كانوا يمكنون فيها ويضحكون
من قوله " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية " [مدر .
أى تصفيقا وتصفيرا وهذا ضيف من جهة اللغة والتعريف

بكة:

ورود في القرآن الكريم اسم آخر لمكة هو بكة . فذكرت بكة في قوله تعالى :
" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه
آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت
من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين " [مدر ١٧ /
وذكر ياقوت رواية أخرى عن مغيرة بن إبراهيم جاء فيها :
" أن بكة هو موضع البيت ومكة هو موضع القرية " .
وقيل إنما سميت بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضا أمام البيت .

ونقل ياقوت عن يحيى بن أبي أنيسة : أن بكة موضع البيت ومكة هو
الحرم كله وعن زيد بن أسلم : أن بكة الكعبة والمسجد ومكة ذو طوى
وهو بطن الوادى^٢
والذى ذكره الله تعالى في قوله :

" وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن
أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا " [فني: ٢٤ /
ويرى بعضهم أن بكة هي نفس مكة أبدلت فيها الميم باء على عادة
أهل الجنوب ويعتقد الدكتور / جواد على أن بكة ليست سوى لهجة من
لهجات القبائل التي تبدل الميم باء.^٣

٢- الأزرقى أخبار مكة ١/ ٢٨٨

٣- ياقوت نفس المرجع السابق

د- جوك على / ٤ / ١٨٩

وفى القاموس أيضا فى مادة " بك " ومنه بكة لمكة أو لما بين جبليها
او للمطاف لدقها أعناق الجبابة أو لادحام الناس بها وقل ابن هشام
أخبرنى أبو عبيد : أن بكة اسم لبطن مكة لأنهم بيتاكون فيها أى
يزدحمون .^١

وقيل أن بكة موضع بيت الله الحرام ومكة سائر البلد لقوله تعالى "
" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين "

ق عمران ٩٦

ومنها أن بكة المسجد ومكة الحرم كله وتدخل فيه البيوت .
وقد بقيت كلمة " وادى بكة " فى التوراة على ما دخل فيها من
التحريف والتغيير ، إلا أن المترجمين حولوها إلى " وادى البكاء "
وجعلوها اسم نكرة يدل على علم ، وقد جاء فى مزامير داود ما نصه :
" طوبى لأناس عزمهم بك ، طرق بيتك فى قلوبهم عابرين فى وادى
البكاء يعبرونه ينبوعا " (مزامير)^٢

وقد اتتبه علماء اليهود بعد قرون إلى أن هذد الترجمة كانت خاطئة ،
فقد جاء فى دائرة المعارف اليهودية اعتراف بأن واد مخصوص لا ما فيه
، وأن فى ذهن من صدرت عنه هذه العبارة صورة لواد له أوضاع طبيعية
عبر عنها بهذه الكلمة .^٣

وقد كان ناقلو هذه الصحف إلى الإنجليزية أكثر أماته ودقة فى الترجمة
من الذين قاموا بالترجمة العربية فقد تركوا كلمة " بكة " كما كانت فى
الأصل وكتبوها بالحرف الاستهلالى كما تكتب الأعلام ، وفى الترجمة
الإنجليزية كما يلى .^٤

١- الروض الأنف للسبلى ١ / ١٢٦ .

٢- الكتاب المقدس فى مطبعتها فى ساحة استورين مدينة نيويورك ، لندن ١٨٠٤ م .

٣- Lewis Cyclopaedia fol. ١١ p. ٤١٥ .

٤- مستفاد من " للتفسير الماجدى " للأستاذ الكبير عبد الماجد النربايدى ، وكتب رحمة للعالمين
للقاضى سليمان المنصور فوزى لنظر السيرة النبوية للنورى / ٥٦

heart are the ways of them who passing through the
fallefaf baca makeitawell . (psalm)(١٠) .

ماكورابا:

وجاء ذكر مكة في جغرافية بطليموس تحت اسم " MACORABA " (١) .
ومضاه مقدس أو حرم ، مما يستفاد منه ان مكة كانت في أول عهدها مقاما
دينيا وأنها كانت مركزا للعبادة قبل البعثة النبوية بزمان طويل وبيدوا أن
هذا الاسم له علاقة بالبيت الحتيق الذي كان سر شهرتها كعاصمة دينية
في الجاهلية ، فكلمة " ماكورابا " قرينة من مكرب التي عرفت عند
العرب وتعبر عن لقب كان يحمله الكهنة في سبأ قبل أن يتحولوا إلى
ملوك ومن المرجح أنها تضى " القرب إلى الله " لأنها مدينة مقنمة .

الناسة:

والناسة هو من نست الشيء إذا أذهبته .
فلقد بغت جرحهم بمكة ولستحلوا حلالا من الحرمة فظلموا من دخلها
من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها فرق أمرهم . فلما رأت
بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان فنقومهم من مكة وكنت مكة في
الجاهلية لا تقرر فيها ظلما ولا بظيا ولا يبقى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت
تسمى : الناسة ولا يريد ما ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه .

١- حواد على تاريخ العرب قبل الإسلام ١٨٨/٤

٢- lamnes. bameepfaafeillelmeqire p -٢٢٦

٣- البروج الأعد للهيلى ١٠٠ / ١

الباسة :

والباسة بالياء وهو من يست الجبال بسا أى فنت وثریت كما یثرى السوق .

وقیل : الباسة لأنها تبس أى تحطم الملحد وقیل تخرجهم .

أموجه وأم القرى :

وسمیت أيضا بأم رحم " وأم القرى "

ووردت بهذا الاسم فى قوله تعالى " ولتنذر أم القرى ومن حولها " الاسم / ١٢
قر بعض العلماء سمیت بذلك لأنها أقدم القرى التى فى جزيرة العرب
واعظمها خطرا . إما لاجتماع أهل تلك القرى فيها كل سنة أو لالتجانهم
إليها وتحويلهم على الاعتصام لها لما يرجونه من رحمة الله تعالى وقد
وردت فى القرآن الكريم مرتين الأولى كما ذكرنا والثانية فى قوله تعالى
" وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى " نسوى / ٧

معاد والحاطمة :

وسمیت أيضا : معاد ، والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها .

الوأسر والحوام وصلاح :

وسمیت بالرأس وصلاح . كما سمیت أيضا بالحرم والبلد الحرام . كما ثبت
فى الصحيحين أن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السماوات والأرض فهو
حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة .
وقد ذكرنا الحديث أيضا فى حرمة مكة .

المحرم:

وسميت بالمحرم كما فى قوله تعالى :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْتَلَى لَتَيْدُهُ مِنْ النَّاسِ فَهَوِيَ إِلَيْهِمْ وَأَرْزَقَهُمْ مِنَ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " ١٠ "

العرش والقادس والمقدسة :

وسميت بالعرش لأنها حيال العرش ، والقادس لأنها تقديس أى تطهر من
الذنوب .

كوثى:

وسميت بكوثى : وهى اسم بقعة كانت منزل بنى عبد الدار قديما .
وقيل كوثى : ربا هى التى يخرج منها الدجال ، ومنها كانت أم
إبراهيم عليه السلام .
وأبوها هو الذى احتضر نهر كوثى . " قاله الطبرى " .

البيت العتيق :

وسميت البيت العتيق لأنه عتيق من الجبايرة . قال تعالى :

" وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ " صح / ٢٩

قال تعالى :

" ثُمَّ مَجَّيْهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ " صح / ٣٣

البلد :

قال تعالى :

" لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌ بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان

في كبدٍ " سورة ١١

والبلد : هو مكة بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس في الأرض ليكون مثابة لهم وأما يضعون عنده سلاحهم وخصوصاً تهم ويلتقون فيه مسالمين : حرام بعضهم على بعض كما أن البيت وشجره وطيرد وكل حي فيه حرام ثم هو بيت إبراهيم والذ إسما عيل أبي العرب والمسلمين أجمعين .

البلد الأمين :

وسميت بالبلد الأمين كما في قوله تعالى

" والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين " سورة ١٠١

ويرجع سبب التسمية إلى أن أهلها كانوا يتقانون طوال العام ويحرمون القتال في الأشهر الحرم فتكون أمان لكل من فيها وكل من دخلها . حتى أنهم كانوا يحرمون على الابن قاتل أبيه وعلى الأب قتل من قتل ابنه ، ولأن أهلها كانوا لمنين في أنفسهم في الشهور من أعدائهم ومن الوحوش والأقاعي .. وغيرها

وقيل بأن الله قد حرم على المسيح الدجال دخول مكة والمدينة وحرم فيها القتال والصيد لذلك سميت بالبلد الأمين .

وادي غير ذي زرع:

وتوصف بأنها واد غير ذي زرع . قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:
" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ " " إبراهيم ٢٧ "

مكرب:

ويذكر " بروكلمان " أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية ومعناه الهيكل.^١ بينما يذكر آخرون أنها قد تكون مشتقة من مك في البابلية بمعنى البيت .^٢ ويستفيد من جميع التسميات التي أطلقت على مكة أنها كانت في أول أمرها مقاما دينيا أسسه إبراهيم ولهذا لا يستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أي مقدس ثم تحول إلى مكة .^٣ وهكذا تعدد الأسماء وتعدد الأسماء دليل على شرف المسمى كما يقال .

١- بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ٢٢٢ / ١١

٢- جرحى وديان : العرب قبل الإسلام / ٢٧٥ .

٣- د / السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب

obeikandi.com

الفصل الثاني

مخاض مكة

اختار الله ﷻ مكة واصطفاهما ، وجعلها خير وأشرف بلاد الأرض وأحبها إلى الله، كما ثبت بذلك الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال ولولا نهي مكة :

” والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني لأخرجت منك ما خرجت “^١ .

وقد كتب علماء التاريخ والسيرة في أخبار مكة وفضلها شئنا كثيراً

بين المخطوط والمطبوع

(١) لمن ذلك كتاب "أخبار مكة" لأبي الوليد الأزرقي (توفي ٢٥٠ هـ) ، وكتاب "أخبار مكة" لفاكهيروا (توفي ٢٧٥ هـ) وكتاب "عقد الثمين من تاريخ بلاد الأمير و" شعاع الحرام بأخبار ذلك الحرام " كلاماً لقي قهر لفسر (توفي ٨٢٢ هـ) ، وكتاب "تحفة الوري بأخبار أم القرى" لعمر بن عبد المكي (توفي ٩٢٢ هـ) وغلبة الحرام بأخبار سلطنة بلاد الحرام لعز الدين المكي (توفي ٩٨٨ هـ) ، والجامع للأنبياء في فضل مكة وأهلها وبسبب أئمة الشريفة لأبي طهيرة المخرومي

(توفي ٩٨٦ هـ) والإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، لقطب الدين الشهرزالي (توفي ٩٨٨ هـ) وعناجح الحرام في أخبار مكة والبيت وولاء الحرام للسجدي (توفي ١١٢٥ هـ) ، ونور العوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة للمنظمة ، لحد فخر الإسلامى وكتاب الإنصار في معك الحج وطريق الحجاز ، لرضوان رضوان وقد ألف كتابه هذا سنة (١٢٤٥ هـ) .

وقد عرضت هذه الكتب وغيرها بين كثير ومقل لأخبار مكة المكرمة فتحدث مؤلفوها عن الحجر الأسود (أصله وفصله) ، وعن بناء بيت الله الحرام .

(نشأة وتاريخه) وعن كسوة الكعبة على مر العصور وتتابع الدهور وعن مقام إبراهيم وما يتعلق به وعن رمم ومائها من الفضل والمنزلة والحكم مقها وتحدثوا . كذلك عن الصفا والمروة والسمي بينهما وعلاقة تلك بقصة إسماعيل الخليل ربه هاجر

وكتبوا عن " منى ومريضة وعرفت " وذكروا المسافات بين مكة وهذه الأماكن ، ووصفوا الحراب الحرم
والمسلبه ، وعدد هذا كما وصف بعضهم مداخل للرحلات البرية القنينة على طهور الإبل وشرحها على وجه
التعمير والبيان ووصف المتأخرين منهم لرحلات البحرية للتنمية بالبحارة
وكان دافعهم جميعاً لتسجيل هذه الأخبار حبههم الشديد لبيت الله الحرام
ومكة المكرمة والمشاعر المقدسة .

وأما عن فضائل مكة :

فقد ذكر العلماء لها من الفضائل والخصائص التي شرفها الله بها ولم يجعل شيئاً
منها لبلد سواه :

❁ أول مسجد وضع في الأرض بها :

وهو أول مسجد وضع في الأرض كما في الصحيحين عن أبي ذر رضي عنه قال :
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض ؟
فقال : " المسجد الحرام " .

قلت : ثم أي ؟

قال : " المسجد الأقصى " .

قلت كم بينهما ؟

قال : " أربعون عاماً " ١

وفضائل هذا المسجد لا تخفى على أحد وكفاه فخراً أن الصلاة منه بمائة
ألف صلاة كما جاء في الحديث الصحيح وهذا يدل دلالة قاطعة على أن
المسجد الحرام أفضل بقاع ومساجد الأرض على الإطلاق .
من جابر رضي عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من
ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل
من مائة ألف صلاة فيما سواه ٢

١ - متفق عليه

٢ - رواه أحمد وابن ماجه بإسنادين صحيحين

ه أفضل الرسل أجمعين منها ..

ومن فضائلها أن الله قد اختار أفضل الرسل والنبیین صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منها ، واختاره لنزول أفضل كتبه على الإطلاق وهو القرآن الكريم والذكر الحكيم ففيها بدء نزول الوحي وشهدت أولى أحداث وقائع الرسالة ..

❁ مناسك للعباد ..

ومن خصائص البلد الحرام أن الله جعلها مناسك لعباده ، وأوجب على كل قادر ومستطيع للإتيان إليها من قريب ومن كل فج عميق فلا يدخلونه إلا خاشعين خاضعين كاشفي رؤوسهم متجردين من لباس وزينة الدنيا .

❁ حرماً آمناً ..

ومن فضائل البلد الأمين : أن الله قد جعله حرماً آمناً لا يسفك فيه دم ولا تعضد به شجرة ولا ينفر له صيد ولا يقطع نباته الرطب ، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف أبداً غير مقيد بزمن كلقطة غيره .

❁ يحط الخطايا ويمحو الذنوب ..

ومن فضائلها : أن الحج إليها وسيلة لحط الخطايا ومحو السيئات كما ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " ١ أى بغير ذنوب ولا سيئات . وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

" العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " ٢

١- رواد البحارى ومسلم والسنائى وغيرهم

٢- متن عليه

◦ أقسم الله ﷻ بما ..

ومن فضائل البلد الأمين : أن الله ﷻ قد أقسم به في موضعين من القرآن الكريم فقال تعالى :

" والثين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين " ١

وقال أيضاً :

" لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد " ٢

◦ قبلة أهل الأرض :

ومن فضائل مكة أن الله قد جعلها لأهل الأرض كلهم فليس على وجه الأرض قبلة غيرها وكل مصل وقائم وراكع وساجد لله يجب عليه أن يتوجه إليها في صلته وإلا بطلت صلته إذا توجه عامداً إلى غيرها مع قدرته على التوجه إليها .. قال تعالى :

" قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ " سورة / ١٤٤

وقد عد جمهور الفقهاء التوجه إلى القبلة من شروط صحة الصلاة .

◦ يحرم استقبالها أو إسنتديارها عند الغائط :

ومن خصائصها : أنه يحرم استقبالها وإسنتديارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض تشرافاً لها . لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إذا جلس أحدكم لحاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها " ٣

٣- التبر / ١-٣

٤- البلد / ١-٢

٢- رواد لحمد ومسلم

◦ أم القرى ..

وقد سماها الله ﷻ أم القرى ، فالقرى كلها لها تبع .. إظهاراً لمنزلتها وعظيم قدرها .

❖ يعاقب على الحرم بالسيئات تبعاً .

ومن خصائص البلد الحرام أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها قال تعالى :

" ومن يرد فيه بالأحاديث يظلم نذقه من عذاب أليم " ص ٢٥ /

وعلى هذا تكون الحسنة في الحرم مضاعفة والسيئة كذلك مضاعفة .
وقد ذكر ابن القيم رحمه الله " أن السيئة في حرم الله أعظم جرماً من مثلها في أى موضع آخر من الأرض " وقد جاء منصوصاً من طريق ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال " من حج ماشياً كتب له بكل خطوة سبعمان حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟
قال : " الحسنة فيه بمائة ألف حسنة " ١

❖ تنصوى إليه القلوب :

ومن أعظم ما يختص به البلد الحرام أن القلوب تهوى إليه والأفئدة تميل إليه فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فكم أنفق في حب مكة من الأحوال والأنواع ورضى المسافر لها شوقاً مفارقة الأهل والأحباب والأوطان وتحمل في سفره صنوفاً من العذاب والمشقة والهوان ، والسرفى ذلك أن جعل بيته الحرام مثابة للناس أى يقومون إليه على تعاقب الأعمار من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطراً بل كلما سافروا إليه ازدادوا شوقاً ومحبة إليه .

٤ - لسند البرار _ للروض الأنف للسهيلي ح ٢ / ٢٣١

◦ أحب بلاد الله إلى الله .

لما خرج رسول الله ﷺ من مكة وقف على الحزوة وقال :
" بسى لأعلم أنك أحب البلاد إلى وأنتك أحب أرض الله إلى الله . ولو لا أن
المشركين أخرجوني منك ما خرجت .
وقالت عائشة رضي الله عنها :

" لو لا الهجرة لمكنت مكة فإني لم أرى السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها
بمكة ولم يظمنن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أرى القمر بمكان أحسن منه
بمكة " .

وقال ابن أم مكتوم وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ وهو يطوف :
يا حبذا مكة من وادي - أرض بها أهل وعوادي .
أرض بها ترسخ أوتادي - أرض بها أمش بلا هادي .
ولما قدم الرسول ﷺ المدينة هو وأبو بكر وبلال فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى
يقول :

" كان أمرى مصبح في أهله - والموت أدنى من شراك نعله " .
وكان بلال إذا انقشعت عنه رفع عقيرته .. وقال :

" ألا ليت شعري هل لبيته ليلة - بفخ وعندي أذخر وجليل " ؟
" وهل أردنا يوماً مياه محبة - وهل يدون لي شامة وطفيل " ؟

ووقف رسول الله ﷺ عام الفتح على جمرة العقبة وقال :
" والله إنك لخير أرض الله وإنك لأحب أرض الله إلى ولو لم أخرج ما
خرجت إليها لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد كان بعدي ، وما أحلت لي
إلا ساعة من نهار ثم هي حرام يعضد شجرها ، ولا يحنث كلالها ولا
تلتقط ضالتها إلا المنشد " .

فقال رجل : يا رسول الله إلا الأذخر فإنه لبيوتنا وقبورنا فقال ﷺ إلا الأذخر " ١

وروى في الأثر أنه : " من صير على حر مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مائة عام ، ووجد على حجر فيها كتاب فيه " .

أنا الله رب مكة الحرام وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحفظتها بمسبعة ألافك صنفاء لا تزال أحشائها مباركة لأهلها في الحما والماء ، ومن فضائله أنه من دخله كان آمنا . ومن أحدث في غير من البلدان حدثا ثم لجأ إليه فهو آمن إذا دخله فإذا خرج فيه أقيمت عليه الحدود ومن أحدث فيه حدثا أخذ بحدته .
وقوله تعالى :

" وما كان ربك مهلك القرى حتى ينبذ في أهلها رضوا " (نمر ١٠١)

وقوله تعالى :

" ولتذرن أم القرى ومن حولها " (نمر ١٠٢) دليل على فضلها على سائر البلاد " ومن شرفها أنها كانت لقاحا لا تدين لدين الملوك ولا يؤد أهلها إتابة ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان تحج إليها ملوك حمير وكندا وغسان ولحم فيدينون لحمص (وهو من الحماسة والتحمس : مذهب القرشيين المتشدد في الجاهلية ، وقد أبطله الإسلام) من قریش وبيرون تعظيمهم والاقتداء بأثارهم مفروضا وشرفا عندهم عظيما ، وكان أهله أميين يقرون ويتسبون ولا يستبون ولم تسب قرشية قط فتوطأ قهرا ولا يجال عليها السهام ، وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء فقال بعضهم :
أبوا دين الملوك فهم لقاح * إذا هيجوا إلى حرب أجابوا .

وقال انزبير : " فإن من بدر لرجل من بنى عوف كان قد هجا ابا جهل
وتناول قريشا :
أندرى من هجوت أبا حبيب * سليل خضارم سكنوا البطاحا .
أزاد الركب تذكر أم هشام * وبيت الله والبلد اللقاحا ؟

ومما زاد فى فضلها وفضل أهلها ومباينتهم العرب أنهم كانوا حلفاء
متألفين و متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم عليه السلام ولم يكونوا
كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولا يزينه أدب ، وكانوا يختنون
أولادهم ويحجون البيت ويقيمون المناسك ويعنون قوتاهم ويقتسلون من
الجنابة ، وتبرأ وامن الهز بزة " لاهى المجوسية والله أعلم " .
وتباعدوا عن المناكح فى البنت وبنت البنات والأخت وبنت الأخت غيرة
وبعدا من المجوسية ، ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم ،
وكانوا يتزوجون بالصدقات والشهود ويعلقون ثلاثا ، وذلك قال عبد الله بن
عباس وقد سأل رجل عن طلاق العرب فقال :

" كان الرجل يطلق امراته تطليقه ثم هو أحق بها ، فإن طلقها اثنتين
فهو أحق بها أيضا فإن طلقها ثلاثا فلا سبيل له إليها ولذلك قال الأعشى :
أيا جارتي بينى فإنك طالته * كذلك أمور الناس غار وطارقة .
وبينى فقد تارقت غيوى ذميمة * وموموته منا كما أنت وامقة .
وبينى فإن البين خير من المصا * وأن لا ترى لى نوق وأسك بارقة .

الفصل الثالث

حرمة مكة المكرمة

إن مكة المكرمة كانت معلومة الحرمة في الجاهلية و صدر الإسلام
وتحريم مكة المكرمة كان قيل إبراهيم عليه السلام بدلالة قوله تعالى على لسان
إبراهيم : " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْمُحَرَّمِ " - إبراهيم ٢٧ - وإبراهيم عليه السلام بعد بناءه البيت مع ولده إسماعيل
عليه السلام أعلن تحريم مكة المكرمة ودعا ربه أن يجعلها بلدا آمنا
فاستجاب الله تعالى له .

قال تعالى : " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ " البقرة ٢٥

قال الله تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ " إبراهيم ٣٥

ولما جاءت حادثة القيل التي تحدث عنها القرآن الكريم :
" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كِنْدَافًا فِيهِ تَصْغِيلًا وَأَرْسَلَ
عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ "

الفيل ١ بر ٥

عظمت مكة في نفوس العرب وازدادت مكاتنها رفعة خاصة بعدما
علموا عن سبب هذه الحملة الشرسة كما عظمت مكاتة أهل مكة خاصة
عبد المطلب الذي لم يخرج من مكة حيث عظمت مكاتته عند أهل مكة
بالذات ، وقال الله تعالى على لسان رسوله محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب عليه السلام : " إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا "

الفيل ١١ /

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة
المكرمة :

" إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة
الله إلى يوم القيامة.. " ١ .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة المكرمة :

" إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي
ساعة من النهار لا يختلي خلالها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا
تلتقط لقطتها إلا لمعرف " ٢

وقد أباح الشارع الحكيم لأهل مكة الأذخر حيث جاء في حديث ابن
عباس وكذا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال العباس :
" إلا الأذخر فإنه لقينهم وبيوتهم " .

وفي رواية : " فإنه لصاغتنا وقبورنا " وفي أخرى : " فإن نجعلها
لقبورنا وبيوتنا " فقال رسول ﷺ :
" إلا الأذخر " ٣

وقد جعل الله ﷻ أبقاض الناس إليه الملحد في الحرم فقال تعالى :
" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ
سَوَاءً الْعَاقِبَةُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ " (الحج ٢٥)
فمن هم في الحرم بأمر فظيع من المعاصي الكبار من شرك أو بدعة أو
معصية أو عمل سيئ أو ما يستحل فيه حرمة الحرم .. فما فوق ذلك عامدا
ظالما أذاقه الله العذاب الأليم .. وهذا ما حدث مع أصحاب القيل وغيرهم
جعلهم الله عبرة ونكالا لكل من أراد به سوء .

١ متفق عليه .

٢ متفق عليه واللفظ للبخاري .

٣ متفق عليه .